فضائل القرآن

للشيخ : محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

شرح الشيخ : عبد الرزاق البدر

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ... أما بعد

فضائل القرآن علم عُنِيَ به أهل العلم عناية دقيقة لعظيم فائدتة وكِبَرِ عائدته ، فإن مما لا شك فيه أن العبد كلما أدرك فضائل أمر ما عظمت عنايته به ، وزاد اهتمامه به ، والقرآن له فضائل عظيمة تدل على مكانته العلية ومنزلته الرفيعه ، كيف لا وهو وحي رب العالمين وتنزيل رب العالمين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، كتاب أحكمت آياته ، كتاب جمع الهداية والسعادة والفلاح في الدنيا والآخرة.

وقد كتب أهل العلم كتبا في فضائل القرآن الكريم وأيضا دواوين السنة خصص لفضائل القرآن أبوابا وكتبا يساق فيها الأحاديث والشواهد والدلائل على فضل القرآن العظيم ومكانته العلية .

ويذكر أن أول من ألف في فضائل القرآن الإمام الشافعي رحمه الله ، فله كتاب في فضائل القرآن أسماه منافع القرآن ، لا اعلم له وجودا. ومن أقدم الكتب في فضائل القرآن وهو موجود مطبوع كتاب فضائل القرآن لأبي عبد الله محمد بن أيوب بن الضُرَيْسْ – تصغير ضرس – رحمه الله متوفى عام 294 هـ . وكذلك النسائي وغيرهم من أهل العلم كتبوا في هذا الباب كتابات عظيمة ونافعه ومفيدة جدا.

ومن هذه الكتابات في هذا الباب كتاب فضائل القرآن للإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ويمتاز هذا الكتاب مع صغر حجمه يمتاز بما تمتاز به جميع كتبه رحمه الله من متانة التأليف وحسن التبويب وقوة الاستدلال والعناية الدقيقة بكتاب الله جل وعلا وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وهي طريقة معروفه في كتبه رحمه الله يبوب أبواب دقيقة جدا تدل على فقهه وفهمه العظيم رحمه الله تعالى ، ثم يذكر الأدلة أولا من القرآن الكريم ثم يتبعها بالأدلة من سنة نبيه عليه الصلاة والسلام وأحيانا يذكر بعض الآثار عن السلف وإلا فالغالب الأعم يقتصر على ذكر الدليل من القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم

وهذا النهج الذي سلكه رحمه الله في كتبه هو نهج أئمة الحديث و علماء الأمة الأكابر من أئمة السلف رحمهم الله تعالى فهذه جادتهم تبويب وسَوْقُ أدله من كلام الله تبارك وتعالى وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام.

ولهذا من يطلع على كتابات الشيخ رحمه الله يرى فيها نَفَسَ الأولين ، ولما كان فيها رحمه الله نفس الأولين في التصنيف والكتابة أدركت كتاباته رحمه الله بركة ما في كتب الأولين أو ما جعله الله تعالى في كتب الأولين من بركة عظيمة فكان كلامهم قليلا عظيم البركة ، فنهج رحمه الله نهجهم ولزم غرزهم وسلك سبيلهم فبارك الله في كتبه بركة عظيمة ، وهذه البركة في كتبه يشهد بها القاصي والداني من سعة انتشارها وعموم الانتفاع بها وكثرة المجالس العلمية التي تعقد في مدارستها ومذاكرتها ونقلها إلى اللغات الكثيرة إلى غير ذلك من وجوه النفع والبركة التي تحققت في كتبه رحمه الله تعالى .

وهذا يرجع والله تعالى أعلم ونحسبه كذلك والله حسيبه إلى صدقه ونصحه وإخلاصه لله تعالى نحسبه كذلك والله حسيبه ولا نزكي على الله أحد ، مع عناية دقيقة كما سبق بيان ذلك والإشارة إليه.

فكتب رحمه الله هذا الكتاب فضائل القرآن ورعا فيه الاختصار ونهج المنهج آنف الذكر يبوب رحمه الله تبويبات دقيقة ثم يسوق الأدلة من كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، ولهذا لا تجد في كتبه إلا الآيات والأحاديث وكلامه رحمه الله قليل جدا في كتبه، اللهم إلا أن يكون يوضح معنى من المعاني أو يشير إلى مسألة من المسائل أو فائدة من الفوائد وإلا في الغالب كما سنرى في كتابه هذا آيات وأحاديث.

ولهذا أقول إن من تبنوا المعاداة لهذا الإمام رحمه الله والخصومة له في الحقيقة هم أعداء لأنفسهم ، لأنهم بهذه العداوة حرموا أنفسهم من هذا الخير العظيم والنفع المبارك الذي جعله الله سبحانه وتعالى في كتب هذا الإمام لأنها كتبا ليس فيها إلا كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام فمن يعاديها يعادي الكتاب والسنة لأنها كتب ليس فيها إلا كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم .

ومن المواقف التي تذكر في هذا المقام أن رجلا كان يعادي شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بمجرد السمعه التي سمعها من خصومه فكان يعاديه عداء شديدا ، فأراد أحد أهل الفضل والنبل أن ينبهه على خطأه فسلك في ذلك مسلكا لطيفا، أخذ كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ونزع منه الغلاف الذي يدل على اسم مصنفه وأعطاه لذلك الرجل وقال له أحب أن تقرأ لي هذا الكتاب وتفيدني هل هو صالح للقراءة أو ليس صالح للقراءة وأنا طالب علم مبتدئ وأنت عالم ، فأخذ الرجل الكتاب وقرأه وإذا به علم ، آيات وأحاديث وأبواب متينة محققه ، فأحب الكتاب وأحب مؤلفه وهو لا يعلم من هو، ثم

بطريقة ما عرّفه بمؤلف هذا الكتاب فتحول إلى رجل محب له داع له بعد أن كان مبغضا وداعيا على الشيخ رحمه الله وكثير من الناس بلوا بالدعاية السيئة التي تولى كبرها أناس يبوؤون بوزر هذه الدعاية وبوزر من تأثر بها لعظم جنايتهم وتعديهم على الحق وأهله.

وخلاصة الكلام أن هذا الكتاب كتاب فضائل القرآن لهذا الإمام رحمه الله كتاب عظيم البركة عظيم النفع عظيم الفائدة وهو كتاب مختصر إلا أنه مع اختصاره حوى خيرا كثيرا وفائدة عظمية كبيرة في بابه باب فضائل القرآن الكريم .

ونبدأ مستعينين بالله تبارك وتعالى في قراءة هذا الكتاب سائلين الله عز وجل أن يبارك لنا في قراءتنا هذه ، وأن يجعلها لوجهه خالصة ولنا نافعه ، وأن يجعل ما نتعلمه حجة لنا لا علينا ، وأن يصلح لنا شأننا كله إنه تبارك وتعالى سميع الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل .

بسم الله الرحمن الرحيم

باب فضائل تلاوة القرآن وتعلمه وتعليمه (1)

وقول الله عز وجل: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} وقوله تعالى: {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ}

بدأ رحمه الله هذا الكتاب بالبسملة تأسيا بكتاب الله عز وجل وتأسيا بالنبي الكريم عليه الصلاة والسلام في مكاتباته ومراسلاته صلوات الله وسلامه عليه .

والبسملة كلمة استعانة، والباء في (**باسم الله**) باء الاستعانة، ومعنى باسم الله أي : باسم الله اكتب وأحرر هذه الأوراق مستعينا به طالبا مده وعونه وتوفيقه وتسديده، فبدأ رحمه الله في البسمله ثم قال:

(**باب فضائل تلاوة القرآن وتعلمه وتعليمه**) : جرت عادة كثير من المؤلفين وخاصة المتأخرين أن يبدأ بمقدمه تطول أو تكون مختصرة يبين فيها أمورا أهمية موضوع الكتاب وسببه مثلا تأليفه وطريقته في كتابه وغير ذلكم من الأمور التي جرت عادة كثير من أهل العلم ذكرها في مقدمات كتبهم . وهو رحمه الله في هذا الكتاب وفي غيره من كتبه بل في غالب كتبه يبدأ مباشرة يعني هنا قال فضائل القرآن تعلمه وتعليمه ثم مباشرة بسم الله الرحمن الرحيم وبدأ بالأبواب دون أن يذكر مقدمة يلخص فيها ماذا سيقدم في كتابه. وهو في هذه الطريقة ينهج نهج المحدثين القدامى في أغلب مصنفاتهم يبدؤون مباشرة في الكتاب.

ومن الأغراض التي يرمى إليها أو تقصد لهذه الطريقة أن يوصل القارئ إلى الدليل مباشرة بدون مقدمات ، وكأنه يقول لك ليس لي كلام وإنما الكلام لله ولرسوله عليه الصلاة والسلام ، فمباشرة يوصلك إلى الدليل يضع العنوان ومباشرة يربطك

بالدليل كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام ولا يفصل بينك وبين الدليل بكلام له. فإذا قرأت كتابه فأنت لا تقرأ شيئا له أو كلاما له وإنما تقرأ أدله ، والعلم قال الله قال رسوله صلى الله عليه وسلم ولهذا في كتاب التوحيد وفضل الإسلام وكتب عديدة ينهج هذا المنهج رحمه الله وعليه عدد من كتب أئمة السلف رحمهم الله في دواوين السنة من معاجم أو مسانيد أو سنن أو صحاح أو غيرها من الأجزاء الحديثية فهذه طريقة متبعه في غالب كتب أئمة السلف رحمهم الله ولعلم الغرض من ذلك هو ربط القارئ بالمضمون مباشرة الذي هو كلام الله وكلام رسوله صلوات الله وسلامه عليه.

وقوله: (**فضائل**) : فضائل جمع فضيلة، وفضائل القرآن المراد بها ميِّزات القرآن ومحاسنه والشواهد والدلائل على عظمة القرآن وشرف القرآن وفضل القرآن وما يترتب على العناية به من أجور عظيمة وثواب جزيل وبركة يحوزها المعتني بكتاب الله تبارك وتعالى في دنياه وأخراه.

قال : (**باب فضائل تلاوة القرآن وتعلمه وتعليمه**) : أي ما ورد في ذلك ، ما ورد في فضل تلاوة القرآن وتعلم القرآن وتعليم القرآن ، فهذا باب عقده لبيان فضل التلاوة والتعلم والتعليم.

وتلاوة القرآن قد قال الله تعالى : (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته) تلاوة القرآن ليست مجرد قراءة حروفه أو حفظ آياته وسوره، فهذا جزء من التلاوة ، وأما حقيقة التلاوة فهي أعم من ذلك ، فتلاوته تتناول أمور ثلاثه نبه عليه أهل العلم :

الحفظ

الفهم

العمل

والعمل بالقرآن يسمى تلاوة للقرآن، فتلاوة القرآن ليست بحفظ آياته وسورة ولا أيضا بمجرد فهم المعاني بل بالحفظ والفهم والعمل بالقرآن الكريم والعمل نفسه يسمى تلاوة .فاتباع القرآن والعمل بما جاء في القرآن الكريم يعد تلاوة للقرآن فالذين يتلون كتاب الله حق التلاوة هم من جمعوا هذه الأمور الثلاثة ليس مجرد حفظ السور والآيات دون فهم للمعاني ولهذا اختلفت طريقة السلف عن طريقة المتأخرين في حفظ القرآن ، فابن عمر رضي الله عنهما استغرق حفظه لسورة البقرة سبع سنوات، لكن ما هي الطريقة ؟ قال أبو عبد الرحمن السلمي يذكر حال الصحابة وهو ممن تلقى القرآن عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كنا لا نتجاوز العشر آيات حتى نتعلمهن ونعمل بهن) يعني حتى نفهم المعاني ونعمل بالدلالات فكانت هذه طريقتهم حفظ وفهم وعمل ولا يتجاوز شيئا من آيات القرآن حتى يجمع بين الفهم والعمل.

فالتلاوة لكتاب الله تتناول هذا كله ولهذا أنس رضي الله عنه يقول : (كان الرجل إذا حفظ سورة بالبقرة نَبُلَ عندنا) يعني صار له مكانة ومنزله عليّه .مرادهم بحفظ سورة البقرة هي على الطريقة التي عرفت عنهم في الجمع بين الفهم والعمل مع حفظ ألفاظ القرآن وسوره وآياته.

قال : (باب فضل تلاوة القرآن وتعلمه وتعليمه) وسيأتي مزيد إيضاح حول هذا أثناء الأدلة التي ساقها المؤلف رحمه الله تعالى.

بدأ أولا بقول الله عز وجل : **{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}** بدأ بهذه الآية تنبيها بها إلى ما يترتب على تلاوة القرآن وتعلمه وتعليمه من رفعة في الدنيا والآخرة.

يرفع الله) : وهذه الرفعه تكون في الدنيا والآخرة ليست في الدنيا فقط ولا في الآخرة فقط وإنما في الدنيا والأخرة .) وهذه الرفعه هي لمن كان تاليا للقرآن حقا علما وعملا . قد صح في الحديث عن نبينا عليه الصلاة والسلام قال : (إن الله يرفع بهذا القرآن أقواما ويضع به آخرين) فمن الناس من يضعه الله بالقرآن ، وممن يضعهم الله سبحانه وتعالى بالقرآن من حفظ القرآن ليقال حافظ وقرأه ليقال قارئ فيقال له يوم القيامة قد قيل ثم يسحب ويلقى في نار جهنم كما صح بذلكم الحديث في صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهذه الرفعه التي تكون لأهل القرآن إنما تنال بالفهم والعمل بكتاب الله مع الحفظ له والإتقان لتلاوته.

قال : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) قبلها في أول الآية قال : (يأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) إذا قيل تفسحوا إذا قيل انشزوا : القيام بما دل عليه القرآن من معاملة كريمة بين المسلمين في مجالسهم وعلى

إثر هذه المعاملة قال :

إذا قيل تفسحوا) : كانوا في مجلس وقدم قادم أو أكثر وقيل تفسحوا أي وسعوا في المجلس حتى يستوعب من قدم ، يفسح) . الله لكم جزاء من جنس العمل من فسح لإخوانه فسح الله له

قال (يفسح الله لكم) : حذف المتعلق يفيد العموم ولم يذكر يفسح لكم في ماذا ليشمل كل خير . فانظر بركة القرآن في مثل هذه المعاملة العظيمة التي تقف كثير من النفوس عن القيام بها وفعلها ، لكن من يكرمه الله بالعمل بهذه الآداب الرفيعة العالية التي دل عليها القرآن قال (افسحوا) إذا كنت في مجلس أو في مسجد أو في بيت وجاء أخ من إخوانك والمكان . يحتمل جلوسه معكم افسح يفسح الله لك

وإذا قيل انشزوا فانشزوا) النشوز : الإرتفاع ، فإذا قيل انشزوا يعني طلب منكم القيام إما لصلاة أو لمصلحة من المصالح) أو وجه من وجوه الخير فلا يصر على البقاء في مكانه بل يتجه لما طلب منه من فضيلة وخي . وقيل أن من أسباب النزول أن بعض الصحابة كان يفضل أن يكون آخر من يقوم من مجلس النبي عليه الصلاة والسلام إدراكا لفضيلة البقاء في مجلسه عليه الصلاة والسلام فجاء قوله (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) إذا طلب منكم القيام لأي باب من أبواب الخير أو . مجال من مجالاته (فانشزوا) أي انهضوا وبادروا وسارعوا

قال : (يرفع الله الذين آمنوا منكم) إتيان قوله : (يرفع الله الذين آمنوا منكم) في هذا السياق يدل على ثمرة العلم والعمل به في تحقق الرفعه في الدنيا والآخرة وأن من كان من أهل القرآن علما وعملا فاز بهذه الرفعه ، وإذا كان سبحانه ذكر هذه الرفعه في هذا السياق وفي هذا الموضع الذي فيه حديث عن أدبين من الآداب العظيمة آداب المجالس وذكر جل وعلا هذه الرفعه في هذا السياق فكيف بمن يكرمه الله عز وجل بعناية دقيقة وافية بأخلاق القرآن وآداب القرآن تحليا بها ودعوة إليها . كم هي هذه الرفعه التي سينالها ويحصلها في دنياه وآخراه

والرفعه ثمرة من الثمار وأثر من الآثار ونصيب العبد منها بحسب نصيبه من القرآن علما وعملا . ولهذا تفاوت الناس في الدنيا والآخرة في هذه الرفعه وسيأتي معنا في الحديث يقال لقاري القرآن (اقرأ وارق) فهذه رفعة في الآخرة ، والرفعه في الدنيا ما يجعل الله سبحانه وتعالى لأهل القرآن الذين هم أهله من قبول ومودة في قلوب الناس ومكانة وذكرا طيبا ولسان . صدق وقد قال تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل الله لهم الرحمن ودا) أي مودة ومحبة في قلوب الناس

قال : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) : هذه الرفعة لمن أكرمه الله سبحانه وتعالى بالإيمان وبالعلم ، فالإيمان رفعه لصاحبه والعلم رفعه لصاحبه ، وقوله : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) : أي يرفع الذين آمنوا وأوتوا العلم درجات أعلى من الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم . لأن هؤلاء معهم فضيلة العلم الذي نفعه عائد عليهم وعلى الآخرين . والعلماء ورثة الأنبياء وهم هداة الخلق ودعاة الحق ، وكما قال بعض السلف : (لولا أهل العلم – أي منة الله على الناس العلم – لكان الناس مثل البهائم) كيف يعرفون الحلال والحرام والأحكام والدين والشرائع إلا من طريق . العلماء الذين هم ورثة الأنبياء

فشاهد الآية للترجمه : ما دلت عليه الآية الكريمة من ثمرة عظيمة وأثر مبارك للعناية بالقرآن علما وعملا وتطبيقا ودعوة .أي ما يتحقق في سلوك هذا المسلك ولزوم هذا المنهج من رفعه لمن كان كذلكم في دينه وأخراه

ثم أورد رحمه الله قول الله تعالى : {**مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ**} هذه الآية جاءت كما بين أهل التفسير في سياق الرد على النصارى بل تحديدا قيل نصارى أهل نجران وتكذيبهم في دعاواهم الباطلة وأقاويلهم الزائفه فيقول تعالى ردا . عليهم : (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ **ما كان لبشر** أي ما ينبغي أي يستحيل يمتنع لا يمكن أن يكون لبشر بهذه الصفحة يؤتيه الله الكتاب والحكمة والنبوة ثم يقول للناس : (. كونوا عبادا لي

النصارى زعموا أن عيسى دعاهم إلى عبادة نفسه فكذبهم الله جل وعلا وأبطل دعاواهم الزائفة وقال ما كان لبشر ما ينبغي يمتنع ويستحيل أن يكون بشر يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول كونوا عبادا لي . فقيل المراد هنا بالبشر : عيسى وقيل : المراد به محمد عليه الصلاة والسلام لأنهم زعموا لما دعاهم عليه الصلاة والسلام إلى الإسلام قالوا إن محمدا . يدعونا إلى عبادة نفسه ، فأكذبهم عليه الصلاة والسلام وأنزل الله في هذه الآية تكذيبهم وتزييف كلامهم الباطل

وتأمل أيضا ذكر هذا الوصف تحديدا قال : (بشر) تنبيها إلى علة الحكم وأن البشرية التي هي وصف لهؤلاء الأنبياء ، تتنافى مع إعطائهم شيء من حقوق الخالق أوصفات الخالق

ولهذا في آية أخرى في آخر سورة البقرة قال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام : (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي) فهو بشر والبشر ليس له أي أحقية في العبودية إطلاقا ، العبودية لرب البشر رب العالمين هي حقه جل وعلا على جميع العباد (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدو الله واجتنبوا الطاغوت) فالبشر ليس له أي أحقية في العبودية ولهذا ذكرهم بهذا الوصف ذكر أنبياءه بهذا الوصف بشر ، وفي هذا نفي الغلو وإبطال له ، الغلو في الأنبياء الذي أهلك جميع من قبلنا (إياكم والغلو في الدين إنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين) الغلو في البشر هو الذي يوصل هذه المواصيل .

قبل أيام قرأت عليكم مثال من هذا الغلو الذي هو كفر وشرك بالله ، في كتاب يوزع بعض الجهال والضلال يقول : في حق محمد عليه الصلاة والسلام يقول نحن عباد محمد !!

لو كانوا يفهمون القرآن ويفهمون الدين ويفهمون (ما كان لبشر) ونظائرها في القرآن لا يمكن أن يقولوا مثل هذا الكلام الكفري الشركي المخرج من الملة .

ما كان لبشر أن **يؤتيه الله**) : الإيتاء منّه وعطية وفضل من الله سبحانه وتعالى يمن به على من يشاء ، قف هنا عند (يؤتيه حتى يقوم في قلبك الطمع والرجاء ممن بيده الأمور أن يؤتيك من واسع فضلك (وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) فهذه منن وهبات وعطايا يمن بها سبحانه وتعالى على من يشاء من عباده .

يؤتيه الله **الكتاب**) : أي يمن عليه بالكتاب المنزل فيكون من أهله فهما وعلما وعملا .

والحكم) : أي البصيرة والفقه والفهم .

والنبوة) : أي يمن عليه بالنبوة . ثم مع هذه المنن الثلاث العظيمة : الكتاب والحكم والنبوة يقول للناس كونوا عبادا لي !! (هذا مستحيل وممتنع ولا يكون .

كونوا عبادا لي من دون الله :أي لا يمكن أن يكون ويقع مثل ذلك .

وفي هذا السياق من الفائدة

عظم أثر العناية بالكتاب والبصيرة والفهم والفقه في دين الله تبارك وتعالى عظم أثر ذلك في صيانة المعتني بها من الأمور السيئة والأفعال الشنيعة ، فمن آتاه الله العلم والحكمة والفهم وأعطاه الله الكتاب ومنّ عليه بفهمه أبعد ما يكون عن مثل ذلك . وهذا أيضا فيه فرقان ما بين أهل الحق والباطل وأهل الهدى والضلال ، فأهل الحق معهم الكتاب ومعهم الضياء ومعهم السنة ومعهم النور ، بينما أهل الباطل ليس معهم إلا الأهواء التي امتلأت بها قلوبهم وامتلأت بها صدورهم فكان دعاة الحق ، دعاة للكتاب والسنة ودعاة الباطل دعاة لأهواءهم التي امتلأت بها صدورهم ، فهذا فرقان ما بين أهل الحق والباطل

من أتاه الله الكتاب والحكم الفهم والفقه في كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام سينفق من هذا الخير ويكون تعليمه من هذا العلم الذي آتاه الله إياه ، أما من امتلأ قلبه بالأهواء لن ينفق إلا من هذه الأهواء التي امتلأ بها صدره وكل ينفق مما عنده .

قال : (**كونوا عبادا لي من دون الله**) : قوله : عبادا لي من دون الله فيها من الفقه أن العبودية لا تتجزأ إن لم تكن خالصة لله تبارك وتعالى فهي شرك ، ولا يقبل الله منها قليلا ولا كثيرا . ولهذا قال (كونوا عبادا لي من دون الله) (من دون الله) لأنه إذا كان الإنسان عبدا لأحد كائنا من كان من دون الله لم يكن عبدا لله وإن عبد الله ، يعني من عبد الله وعبد معه غيره ليس عبدا لله ولا يكون داخلا في عباد الله ، لماذا ؟ لأن العبودية التي لله هي الخالصة له جل وعلا . ولهذا قال أئمة السلف ومنهم ابن عباس : (كل أمر في القرآن بالعبادة أمر بالتوحيد) لأن العبادة لا تكون إلا بالتوحيد كما أن الصلاة لا تكون صلاة إلا في الطهارة ، فإذا افتقدت الصلاة الطهارة لم تقبل وإذا افتقدت العبادة التوحيد لم تقبل .

قال : (**ولكن كونوا ربانيين**) : أي هذا قول الأنبياء وأهل الحق لا يقولون للناس كونوا عبادا لنا من دون الله وإنما يقولون لهم كونوا ربانيين وفي هذا أيضا من الفائدة :

عندما تُنفى المسالك الباطلة يذكر في السياق نفسه المسلك الحق الذي ينبغي أن يكون عليه الإنسان (لا تقولوا راعنا وقولوا أنظرنا) فلما بين تبارك وتعالى بطلان دعوى أولئك بيّن الحق الذي يدعوا إليه الأنبياء ويدعوا إليه أتباع الأنبياء (بقوله : (ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون

كونوا ربانيين) : هذا الذي يدعوا إليه الأنبياء ، يدعو الأنبياء الناس إلى أن يكونوا ربانيين . ربانيين : قيل نسبة إلى الرب) . جل وعلا ، لتعلم العلم الذي دعا عباده لتعلمه والعمل بهذا العلم الذي دعاهم إليه سبحانه

فالرباني هو العالم بدين الله بكــ (انقطاع) إلى ذلك الدعوة إلى ما أكرمه الله من علم وبصيرة وفهم لكلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام . ولهذا جاء عن ابن الأعرابي رحمه الله : (قال : لا يكون الرجل ربانيا حتى يكون عالما عاملا : متعلما) إذا جمع هذه الثلاثة

العلم بالكتاب والسنة

والعمل بالكتاب والسنة

والدعوة إلى الكتاب والسنة

يكون ربانيا ، والآية الكريمة تدل على هذا المعنى لأنه قال : (كونوا ربانيين – بماذا ؟ - **بما كنتم تُعَلِّمون الكتاب**) وفي : قراءة بالتخفيف (تَعْلمُون الكتاب) تَعْلَمُون وتُعَلِمون أي

. بجمعكم بين العلم والتعليم . تَعْلَمُون وتُعَلِمُون الكتاب

وقوله : (وتعلمون الكتاب) : أي بعد أن علمتموه وعملتم به انتقلتم إلى هذه المرحلة المباركه التعليم لكتاب الله جل وعلا ، . فهذا هو الرباني ، الرباني هو : العالم العامل المعلم

بما كنتم تعلمون الكتاب **وبما كنتم تدرسون**) : أتبع قوله تعلمون بقوله (وبما كنتم تدرسون) ومدارسة الكتاب مذاكرته) والعناية به بمعنى أن الإنسان إذا أكرمه الله بالعلم بكتاب الله لا يقف بل يستمر إلى أن يتوفاه الله وهو يتدارس القرآن ويتذاكر القرآن ويتفقه في القرآن ، وقد صح في الحديث عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قال : (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمه وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن . (عنده) الشاهد قوله : (ويتدارسونه بينهم

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران" أخرجاه

ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الحديث المتفق على صحته عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى . (الله عليه وسلم : (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة

الماهر) : هو الحاذق في قراءة القرآن اتقانا للتلاوة واتقانا للحفظ ولا يتتعتع وإنما اتقن القرآن ومهر في تلاوته للقرآن) حفظا وحسنا في تلاوته والأداء لقراءة كلام الله تبارك وتعالى

الماهر في القرآن **مع السفرة** الكرام البررة) : والمراد الملائكة (في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام) برررة ، والسفير هو الرسول ، والملائكة سفر لله ، سفراء بين الله وبين أنبياءه بإبلاغ الوحي (نزل به الروح الأمين على . (قلبك لتكون من المؤمنين بلسان عربي مبين

الكرام البررة) : وصفهم بهاتين الصفتين العظيمتين ، الكرام البررة ، الكرام : أي ذوي الأخلاق الكريمة العالية الرفيعة .) . والبررة : أي ذوي الأفعال الطيبة البارة الحسنة . فجمعوا بين جمال الأخلاق وجمال الفِعال

فالماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، وهذه المعية من مقتضياتها أن يكون الماهر بالقرآن متحليا بهذه الصفات الرفيعة ، لا يمكن أن يكون سيء الأخلاق سيء الفعال وفي الوقت نفسه يكون مع السفرة الكرام البررة . بل لما مهر بالقرآن وكان من أهل القرآن أخلاقا وفعالا كان مع السفرة الكرام البررة . فليس المراد بالمهارة بالألفاظ فقط والحروف بل مع الإتقان

للتلاوة والترتيل لكلام الله تعالى التأدب بآداب القرآن والتحلي بأخلاق القرآن والأفعال الكريمة التي دعا إليها القرآن ولهذا . قال (مع السفرة الكرام البررة) لأنه كان بعنايته بالقرآن كريما برا فكان مع السفرة الكرام البررة

هذا الماهر بالقرآن ، قال : (**والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق** له أجران) : شخص يحب القرآن ويحب قراءة القرآن ولكن يتتعتع تكون الحروف والآيات ثقيلة في خروجها وإخراجه لها ونطقه بها وتلفظه بها ثقيلة يتتعتع ، وربما بعض الناس حتى ينطق كلمة واحدة يحتاج وقتا حتى يجاهد نفسه على نطقها تهجيا وأيضا ثقلا عند بعض الناس في النطق ، أحيانا عند بعض الناس ثقل في النطق لا يملكه ، وأحيانا بعض الناس يكون مبتلا بالتأتأة لما يريد أن ينطق الحرف تجده في جهد حتى يخرج الحرف الواحد أو الكلمة الواحدة . هذا شاق عليه لكنه في جهاد وفي نصب وفي تعب وفي مجاهدة .

يقول عليه الصلاة والسلام : (**له أجران**) يؤتى أجره مرتين ، أجر على التلاوة ، وأجر على التعب والنصب التي يعانيه تقربا إلى الله سبحانه وتعالى في تلاوته كلامه فانظر عظم الثواب وكرم المنان سبحانه وتعالى .

وفي هذا : أن قارئ القرآن على أي أحواله هو بإذن الله تبارك وتعالى يُحَصِّل خيرا سواء كان ماهرا في القرآن أو كان يتتعتع في قراءته للقرآن الكريم ، وخيرات القرآن وبركات القرآن والعوائد العظيمة التي يجنيها أهل القرآن من هذا الكتاب المبارك عظيمة وعديدة وسيأتي عند المصنف رحمه الله ذكر جملة من الآثار والثمار العظيمة المباركة .

نكتفي بهذا القدر . نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن ينفعنا جميعا بما علمنا ، وأن يجعل ما نتعلمه حجة لنا لا علينا ، وأن يصلح لنا شأننا كله ، نسأله تبارك وتعالى بكل اسم هو له سمى به نفسه أو أنزله في كتابه أو علمه أحد من خلقه أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب وهمومنا غمومنا .

الأسئلة :

س / مزيد إيضاح لقوله صلى الله عليه وسلم : (مع السفرة) المراد بالمعية هنا ؟

قوله عليه الصلاة والسلام (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة) هذا يظهر والله اعلم يفيد معنى الرفعة والعلو في أعالي الرتب ورفيع الدرجات لأن السفرة الكرام البررة هم في

رفعة وعلو ، فهو معهم أي رفعة وعلوا وفوزا بعالي المقامات ورفيع الرتب مثل ما قال تعالى : (إن الذين عند ربك) أي الملائكة في رفعتهم وعلوهم وأيضا علو مكانتهم (بل عباد مكرمون) المعية هنا تتناول هذ المعاني كلها ، تتناول الرفعة والكرم عند الله سبحانه وتعالى وأيضا عظيم المنزلة والأجر والثواب كل هذه المعاني يتناولها قوله : (مع السفرة الكرام البررة) . والله اعلم .

س / يقول من المعلوم أن الدروس كثيرة في هذا المسجد والمرء يريد أن يحضرها كلها لأنه متشوق ومحتاج للاستفادة منها ، وإذا فعل ذلك ربما لا يقرأ شيئا من القرآن أو الشيء القليل خاصة هذا الشهر، فمثلا بعد صلاة الفجر هل الأفضل أن أحضر في دروس أم أجلس لقراءة القرآن وحفظه ؟

المطلوب من هذا السائل أن يعطي القرآن من وقته الآخر الذي ليس لهذه الدروس ، لا بد أنه سيجد في وقته الآخر جلسات مع الإخوان أو الأصدقاء أو غير ذلك ، فمن ذلك الوقت يعطي القرآن ، أما هذه الدروس فهي محدودة وفي ساعات محددة في أوقات معينة فعليه أن يعطي القرآن من الفسحة الموجودة في وقته الآخر . وإذا جمع بين ذلك حضور الدروس وتلاوة القرآن وأيضا أبواب الخير الأخرى يكون جمع من أبواب الخيرات ووجوه المنافع. والدروس العلمية القائمة إذا كانت في أمور يجهلها من أمور دينه أمور عقيدته أمور عبادته فالجلوسه فيها في حقه متأكد أكثر من التلاوة ، لأنه تفيده في أمور يجهلها من دينه من فرائض الإسلام وواجبات الدين ، ولا شك أن الواجب مقدم على النفل فالقراءة للقرآن نفل بينما معرفة

واجبات الدين وضرورياته من أبواب الاعتقاد أو فرائض الإسلام أو نحو ذلكم هذا أمر متأكد ومتعين . ولهذا قال أهل العلم العلم نوعان فرض عين وفرض كفاية ، فإذا كان العلوم القائمة هي من فروض العين في حقه يجب عليه أن يغتنم فرصة وجوده ليحصلها ويستفيد منها .

قديما كان بعضهم يسأل لما كانت الأوقات ممتلئة أيهما أفضل طلب العلم أو صلاة النافلة ، لكن الآن لو يسأل طالب من الطلاب أيهما أفضل طلب العلم أو صلاة النافلة يقال له طلب العلم أفضل من النوم الطويل .

س/ يقول قد يكون المرء أميا لا يقرآ ولا يكتب ولكن يريد أن يفهم القرآن وأن يعمل بأحكامه هل نقول أن هذا تالي للقرآن ؟

مادام على هذه الرغبة الصادقة والهمة العالية والحرص العظيم ثم بدأ يعتني بالقرآن ويقرآ

ويجاهد نفسه على القراءة هو على خير ، مثل ما مر معنا في الحديث (الذي يقرآ القرآن يتتعتع به وهو عليه شاق له به أجران) فهو على خير عظيم ، ومع المجاهدة والاستمرار والمداومة والصبر يحصل خيرا كثيرا .

س/ عندنا في المغرب العربي يحفظ القرآن عن طريق القراءة الجماعية ؟

إذا كان المراد بالقراءة الجماعية أن الشيخ يلقن الطلاب ويستمعون إليه ويصحح تلاوته ، أو لا يستمعون تلاوته ثم يستمع منهم ويصحح لهم لا بأس ، أما أن يقرؤوا كلهم بصوت واحد فهذا لا أصل له فيما أعلم فيما جاء عن السلف الصالح رحمهم الله . لكن القرآن بالتلقين يلقن الشيخ الطالب يسمع الطالب أولا القراءة والنطق من الشيخ ثم يسمع الشيخ من الطالب المعين الذي لقنه . لكن لو أنه لقنهم جميعا وقرؤوا جميعا لو أخطأ بعضهم في القراءة لم يتبين للشيخ خطأ من أخطأ أو إصابة من أصاب . لكن التلقين يكون فردي يُسْمِعُهم ثم يستمع منهم واحدا واحد ثم يصحح للمخطأ ويصوب للمصيب .

س/ ما معنى في الحديث : (واجعله الوارث منا) ؟

في الدعاء المأثور قال : (اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا) يعني متعنا بهذه القوى السمع والبصر ، واجعله الوارث منا : أي هذا التمتيع ، الضمير في قوله (أجعله) أي التمتيع ، أي اجعلنا ممتعين بها إلى آخر لحظة نعيشها في هذه الحياة ، بحيث يكون الإنسان ممتع بسمعه وببصره وممتع بقواه إلى آخر حياته .